

## مؤتمر النجف

## الملتقى التاريخي الأول لعلماء الشيعة والسنة

١١٥٦هـ / ١٧٤٣م

ياسين شهاب شكري

## تقديم:

تميز العراق بأنه كان موئلاً للقضايا الفكرية والعقائدية المتعددة ، ومنها قضية الخلاف بين الشيعة والسنة. إذ أن موقع العراق الجغرافي الوسيط في العالم الإسلامي ، والوقائع التي حدثت فيه منذ خلافة الإمام علي بن أبي طالب (ع) ، كان له أبعاد الأثر في ظهور الأفكار والتيارات الدينية وما جرى لها فيما بعد من تأصيل ، وخاصة ما تعلق منها بالانقسام المذهبي واتجاهه نحو الطائفية.

لقد ساهمت عوامل عديدة أخرى في زيادة ذلك الانقسام كالسلطة السياسية الحاكمة في العهدين الأموي والعباسي ، والتي حاولت إشغال المجتمع من خلال تبني ودعم اتجاه معين ضد الاتجاه الآخر. والهدف من ذلك كله توجيه الاختلافات في الآراء والمواقف من قضية الخلافة والإمامة نحو المزيد من الانقسام بين أتباع الفريقين. ولا يخفى هنا عوامل التعصب من قبل بعض العلماء والدعاة ، والجهل الذي كان يدفع بالعامّة إلى الفعل ورد الفعل ضد بعضهم البعض كل وفق مذهبه وطائفته. أضف إلى ذلك دخول العنصر الأجنبي كعامل مساعد في تعميق الخلافات والصراعات الطائفية منذ القرن الرابع الهجري ، فكان الديلم إلى جانب الشيعة والأتراك إلى جانب السنة. وأصبح الأمراء والقادة من الفريقين يعملون من خلال ذلك الصراع على تقاسم النفوذ والسلطة على المناطق ، والعوام من الناس هم وقود الفتنة والاقتيال الطائفي.<sup>(١)</sup> فمثلاً كانت بغداد بين الفينة والأخرى تشهد فتن طائفية بين الشيعة والسنة يذهب ضحيتها الكثير من السكان.<sup>(٢)</sup>

ولم يشذ ذلك الأمر في العصور الحديثة ، خاصة وأن قضية الخلاف بين الشيعة والسنة اتخذت طابعا سياسيا وعسكريا من خلال بروز قوتين كبيرتين على تخوم العراق وهما الدولة الصفوية والدولة العثمانية ، واللتان تبنتا نهجا متشددا في العلاقة بينهما ، كان أحد أبرز دوافعه قضية الخلاف الطائفي. فمنذ مطلع القرن السادس عشر أصبح العراق ساحة تنافس وصراع بين الصفويين الذين تبنوا قضية

♦ مدرس دكتور في جامعة الكوفة / كلية الآداب / قسم التاريخ.



الدفاع عن الشيعة والتشيع ( وفق المذهب الإثني عشري ) ، والعثمانيين الذين كانوا يعدون أنفسهم حماة الدين والعالم الإسلامي السني ( وفق المذهب الحنفي). واستمر ذلك لأكثر من قرنين من الزمان ، كان فيها العراق بمدنه ومناطقه من أهم ساحات المواجهة بين الطرفين ، الأمر الذي ترك أثراً سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية كبيرة. ومؤتمر النجف المراد تناوله في هذا البحث كان جزءاً من تداعيات ذلك الصراع ، والذي حاول فيها ( نادرشاه ) \* خليفة الصفويين في حكم إيران أن يضع حداً لها من خلال جمع علماء الفريقين للتباحث والوصول إلى اتفاق.

### ١- الصراع الصفوي العثماني ودوره في تعميق الطائفية:

لقد فرضت طبيعة النشأة والتكوين لكلتا الدولتين إلى تبني شعار الديني كأساس للشرعية والتوسع. فإذا كان العثمانيون قد تبنوا في بادئ الأمر شعار الجهاد ضد أوروبا وفق قاعدة (دار الإسلام ودار الكفر) ، والذي استمر طيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، فإن ظهور الدولة الصفوية في الشرق وتوجهاتها التوسعية نحو مناطق شرق الأناضول والعراق كان له الأثر البارز في التحول السياسي والعسكري للعثمانيين من الغرب إلى الشرق ، مع تغيير طارئ للمنطلقات الدينية العثمانية بحيث عدّ الصفويين أشد خطراً من الأوربيين المدافعين عن مناطقهم. فلقد كانت الدعاية الصفوية في عهد الشاه إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤م) تعمل على قدم وساق في المناطق المتاخمة من خلال الدعاة المرسلين ضد الدولة العثمانية وتأييد التوجهات الصفوية. وهذا ما دفع السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢-١٥٢٠) إلى استحصال الفتاوى من قبل العلماء بضرورة قتال هؤلاء ومؤيديهم أينما وجدوا.<sup>(٣)</sup> فتم إبادة أربعين ألفاً من الشيعة في الأناضول في وقت واحد من قبل الجيش العثماني.<sup>(٤)</sup> وكرد على مذابح السلطان سليم قام الشاه إسماعيل قام بارتكاب المذابح الجماعية ضد السنة في بلاده أيضاً.<sup>(٥)</sup> فتحول الصراع السياسي بين الدولتين إلى صراع ذي صبغة طائفية لم ينتهي بنهاية معينة ، وإنما امتد للقرون التالية.

ولم يكن العراق بعيداً عن توجهات الدولتين التوسعية نظراً لموقعه الجغرافي الفاصل بينهما ، ووجود العتبات الدينية المقدسة ، ورغبة الطرفين في السيطرة عليه. فأصبح ساحة للصراع السياسي والعسكري من خلال الحروب وحصار المدن والمناطق وما كان يتخللها من عقد اتفاقيات ومعاهدات تركزت بالدرجة الأساس حول ترسيم الحدود ، وتبادل السفراء ، وزيارة الأماكن المقدسة في العراق.<sup>(٦)</sup> وقد ورثت الدول والحكومات التي أعقبت حكم الصفويين في إيران الصراعات والحروب مع العثمانيين ، خاصة في عهد حكم نادرشاه (١٧٣٢-١٧٤٧م).

### ٢- نادرشاه وتوجهاته التوسعية في العراق:

برز دور نادرخان - الذي سمي فيما بعد بـ نادر شاه - على مسرح الأحداث في إيران بعد نجاحه في طرد الأفغان عام ١٧٢٩م. ونتيجة لضعف الدولة الصفوية بدأ نادر يمهد لنفسه الوصول إلى العرش ، والذي تم بشكل رسمي عام ١٧٣٢م. وعمل منذ ذلك الوقت على تكوين إمبراطورية واسعة لنفسه ولأحفاده عن طريق قيادة الحملات العسكرية نحو المناطق المختلفة في إيران ، وأفغانستان ، والهند ، والخليج ، والعراق ، وتركستان ، وداغستان ، ومناطق بلاد ما وراء النهر.<sup>(٧)</sup>

فبالنسبة للعراق بدأ نادر شاه طموحاته التوسعية نحوه منذ عام ١٧٣٣م ، عندما قام الأخير بحصار بغداد طيلة سبعة أشهر حدث خلالها دمار كبير للمدينة ، واضطر أهلها آنذاك إلى أكل الميتة من الحيوانات السائبة.<sup>(٨)</sup> وتكررت المحاولة عام ١٧٣٤م ، والتي انتهت بالاتفاق على الاعتراف المتبادل بالحدود المرسومة منذ عام ١٦٣٩م ، وإطلاق سراح الأسرى من الطرفين ، وتسهيل زيارة الإيرانيين للعتبات المقدسة في العراق.<sup>(٩)</sup>

تجددت محاولات نادرشاه للسيطرة على مدن العراق عام ١٧٤٣م عندما تقدمت قواته عبر ثلاث محاور باتجاه بغداد ، والبصرة ، والموصل. والمحور الأخير كانت بقيادة نادرشاه نفسه للسيطرة على كركوك وأربيل والموصل ، لكنه فشل في السيطرة على الموصل بالرغم من حصار المدينة طيلة واحد وأربعين يوماً.<sup>(١٠)</sup> فعاد من هناك إلى بغداد وطلب من الوالي أحمد باشا عقد الصلح بلا قيد أو شرط ، فتم الاتفاق على ذلك شريطة عودة نادرشاه إلى بلاده وعرض القضية على الدولة العثمانية.<sup>(١١)</sup> وقرر نادرشاه الذهاب إلى النجف وكربلاء لزيارة العتبات المقدسة ، والإطلاع على البناء الذي كان قد أمر به سابقاً ، ولأسيما تذهيب قبة مرقد الإمام علي بن أبي طالب.<sup>(١٢)</sup> ودعا هناك إلى عقد مؤتمر للتقارب بين علماء الشيعة والسنة ، وأرسل إلى والي بغداد طالباً منه من يمثله في ذلك المؤتمر.

والسؤال هنا: لماذا اهتم نادرشاه بقضية الخلاف بين الشيعة والسنة ؟ ولماذا دعا إلى هذا المؤتمر في مدينة النجف بعد الحروب والصراعات التي خاضها في العراق؟

إن قضية الخلاف بين الشيعة والسنة ارتبطت بتوجهات نادرشاه منذ اعتلائه للعرش وتظاهرة بالقبول بها شريطة موافقة الجميع على التخلي عما جاء به الصفويون ، وخاصة المؤسس الشاه إسماعيل الصفوي من التعصب الطائفي.<sup>(١٣)</sup> وأعلن بأنه سوف يعمل على توحيد المسلمين بمذاهبهم المختلفة مع إضافة المذهب الجعفري كمذهب خامس للمذاهب السنية الأربعة (الحنفية، والشافعية، والمالكية ، والحنبلية).<sup>(١٤)</sup> ويعلل البعض ذلك إلى أن نادرشاه أراد أن ينسى الإيرانيون الأسرة الصفوية وما خلقت من العداوة والبغضاء بين الإثنيات المتنوعة في إيران ، والتي كانت سبباً للكثير من الثورات والتمردات في المناطق المختلفة.<sup>(١٥)</sup> فيما يرى البعض الآخر إلى أن نادرشاه كان يحلم بزعامة العالم الإسلامي بعد القضاء على الدولة العثمانية ، وأنه يستطيع من خلال الدعوة للتقارب بين المذاهب في بناء دولة مترامية الأطراف



يجمع فيها الجميع الشيعة والسنة معاً.<sup>(١٦)</sup> والحقيقة أن ما ترسخ في الأذهان من عقائد وأفكار جيلاً بعد جيل لا يمكن محوها من الناس بإرادة حاكم ما ، أو جهة معينة ، أو مؤتمر قصير يجتمع فيها العلماء والمفكرون.

ويبدو أن نادرشاه بحكم نشأته في قبيلة سنية وبروزه كقائد عسكري في جيوش الصفويين قبل أن يتبوأ العرش ، لم يكن ميالاً إلى إحدى الطائفتين ، وأدرك بحنكته السياسية والعسكرية أن الدولة والحيش والمجتمع الذي سيحكمه يضم أعراقاً وطوائف متنوعة لا يستطيع فيها الانحياز إلى طرف ما ضد طرف آخر. وأنه من الضروري توليفها خدمة لأهدافه وطموحاته في ناء دولة كبيرة وقوية. وليس أدل على ذلك من جيشه الذي دخل به العراق عام ١٧٤٣م كان يضم جنوداً من أصول وأعراق متعددة مثل: (الفرس والأذربيجانيين ، والجورجيين ، والتركستانيين ، والأفغان ، والهنود ، والعرب ، وغيرهم).<sup>(١٧)</sup> واللافت للنظر أن نادرشاه أراد فرض توجهاته في تثبيت المذهب الجعفري كمذهب خامس ليس على رعايا دولته فحسب ، وإنما على الدولة العثمانية أيضاً من خلال مطالبته إياها بالاعتراف بذلك ، والسماح لهذا المذهب أن يكون له ركن في الكعبة أثناء موسم الحج كما للمذاهب الأخرى ، مع تعيين أمير إيراني للحج يكون مركزه مساوياً لمركز أمير الحج السوري والمصري.<sup>(١٨)</sup> غير أن الدولة العثمانية كانت ترفض ذلك باستمرار كجزء من نهجها الطائفي في عدم الاعتراف بالحقوق الدينية للطائفة الشيعية. فاتخذ نادرشاه ذلك ذريعة لشن الحملات المتكررة على مناطق الدولة العثمانية ، ومنها العراق دون أن يتمكن من تحقيق ذلك بالوسائل العسكرية. ومن هنا جاءت دعوته لعقد مؤتمر للتقريب بين الطائفتين في النجف.

### ٣- الإطار العام لمؤتمر النجف:

#### أ- المصادر التاريخية:

قبل أن نتناول أسس انعقاد المؤتمر والحيثيات التي رافقت انعقاده ، لا بد في البدء من الإشارة إلى المصادر التاريخية المعاصرة ، والتي تناولت المؤتمر بشكل وآخر. حيث يمكن تقسيم تلك المصادر إلى مصادر محلية ، ومصادر فارسية ، ومصادر عثمانية. فالمصادر المحلية تركزت حول رواية مبعوث والي بغداد إلى المؤتمر وهو الشيخ عبد الله السويدي\*\* ، والتي أوردها في كتابيه ( النفحة المسكية في الرحلة المكية )\*\*\* ، و( الحج القطعية لاتفاق الفرق الإسلامية )\*\*\*\*. وقد أورد عبد الرحمن السويدي نجل الشيخ عبد الله مقتطفات من رواية والده حول المؤتمر في كتابه ( حديقة الزوراء في سيرة الوزراء ) ، وكذلك فعل المؤرخ رسول حاوي الكركوكلي في كتابه ( دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ).

والحقيقة أن الشيخ عبد الله السويدي بحضوره للمؤتمر وروايته عما جرى فيه من الآراء والمناظرات ، اختلف دوره في ذلك بين كونه حكماً وشاهداً عما يجري من اتفاق بناء على ما طلبه منه نادرشاه وكما أشار هو إلى ذلك.<sup>(١٩)</sup> وبين تحوله إلى طرف في المناظرات ودفاعه عن وجهة نظر علماء السنة. والأكثر من ذلك أنه وبالرغم من اتفاق العلماء على وثيقة المؤتمر والاعتراف المتبادل بين الطرفين في الحقوق والواجبات ، نجد أن الشيخ عبد الله يهاجم في نهاية الرواية علماء الشيعة ومذهبه وأفكارهم ، مع إصداره على عدم الاعتراف بهم.<sup>(٢٠)</sup>

أما المصادر الفارسية فيعد ميرزا مهدي خان استرابادي من المؤرخين الأساسيين الذين تناولوا المؤتمر باعتباره المؤرخ الرسمي لنادرشاه ومرافقه في حملاته على العراق. وجاءت تفاصيل المؤتمر في كتابه ( جهانكشاري نادري ) ، و( دري نادري ).<sup>(٢١)</sup> واستقت بقية المصادر الفارسية معلوماتها حول المؤتمر من الكتابين. ومن الجدير بالذكر هنا أن ميرزا مهدي خان حاول أن يعطي لنادرشاه الدور الأبرز في المؤتمر ، ولم يتطرق إلى تفاصيل المناظرات بين العلماء كما فعل السويدي ، وإنما دون فقط نص البيان الذي توافق عليه الحاضرون.

أما المصادر العثمانية المعاصرة لتلك المرحلة التاريخية ، فإنها سكتت عن ذكر تفاصيل هذا المؤتمر.<sup>(٢٢)</sup> ويبدو أن السبب في ذلك هو عدم اهتمام الدولة العثمانية بالمؤتمر ورفضها لنتائجه فيما بعد. إذ أن نادرشاه هو صاحب فكرة عقد المؤتمر ، والوالي العثماني في بغداد أحمد باشا لبي طلب نادرشاه حول ذلك دون الرجوع إلى الدولة العثمانية ، نظراً للظروف الحرجة التي كانت تحيط به ، ومن أجل التخلص من وطأة الحصار والحروب ومطامع نادرشاه.

#### ب - المنطلقات الأساسية لفكرة المؤتمر:

إن فكرة عقد المؤتمر وجمع أكبر عدد من علماء الشيعة والسنة كانت من بناء أفكار نادر شاه ، وهو الذي وضع أسس الوثيقة والاتفاق بين العلماء ، إضافة إلى اختياره المكان المناسب لذلك وهو جوار مرقد الإمام علي بن أبي طالب (ع) في النجف الأشرف. ويمكن القول أن المؤتمر أريد له كما كان مخططاً مسبقاً ، وقبول العلماء المجتمعين بالوثيقة لم يكن سوى رضوخاً لأهداف وتطلعات نادرشاه ، أو كما وصفه الدكتور علي الوردی بـ ( إرادة الجبار ).<sup>(٢٣)</sup> وهذا ما أفقد المؤتمرين روح التسامح والقبول بالآخر بشكل فعلي ، وغياب الرغبة في تحقيق التآلف والوحدة بين الطائفتين ، بالرغم من القبول ظاهرياً بوثيقة المؤتمر ، والتظاهر بالرضا من قبل الحاضرين ، وإقامة الأفراح وتوزيع الحلوى في نهاية المؤتمر.<sup>(٢٤)</sup> لقد أراد نادرشاه من المؤتمر ونتائجه أن يحقق ما عجز عن تحقيقه بالوسائل العسكرية ، وهو بذلك سيضمن اعتراف الجميع بفضله والأسبقية في حل معضلة الخلاف المستديم بين الشيعة والسنة الأمر الذي سيؤهله أن يكون زعيماً للعالم الإسلامي. أما والي بغداد فهو اضطر للقبول بالمشاركة بها عبر



ممثلته الشيخ السويدي ، لغرض إبعاد خطر نادرشاه ، خاصة وأن الدولة العثمانية كانت تعاني من ضعف شديد لا تستطيع فيها إرسال الجيوش باستمرار للدفاع عن العراق ، وهي التي كانت تخوض آنذاك حروباً أخرى مع أوروبا.<sup>(٢٥)</sup>

ومن هنا يمكن القول أن المؤتمر جاء سريعاً في انعقاده ، مثلما كان سريعاً في اعتماد مقرراته المعدة سلفاً من قبل نادرشاه. غير أنه يجب القول أيضاً بأن المؤتمر يعد بمثابة الملتقى التاريخي الأول بين علماء الفريقين ( الشيعة والسنة ) ، ولم يتبعه لقاءات أو مؤتمرات أخرى حتى نهاية الدولة العثمانية.

#### ٤- انعقاد المؤتمر:

بدأ المؤتمر أعماله في مدينة النجف يوم الأربعاء المصادف ٢٤ شوال / ١٢ كانون الثاني ، واستمر حتى يوم الجمعة ٢٦ شوال / ١٤ كانون الثاني لعام ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م. وقد تركزت أسس الحوار بين العلماء حول القضايا التالية:-

- التكفير الحاصل بين فرق المسلمين.

- سب الخلفاء والصحابة.

- الاعتراف بالشيعة الإمامية الاثني عشرية كفرقة من فرق المسلمين ، ومذهب الإمام

جعفر الصادق (ع) كمذهب خامس للمذاهب السنية الأربعة الأخرى.

كان عدد العلماء الحاضرين في المؤتمر حوالي ٧٠ عاماً ، غير أن من شاركوا في المناظرات والحوارات عدد محدود من العلماء ، لئلا تطول العملية ولا يتحقق الهدف المنشود من المؤتمر. فكانت المناظرة الأولى بين زعيم المجتهدين الشيعة في بلاط نادرشاه الملا باشي علي أكبر وبين مندوب والي بغداد الشيخ عبدالله السويدي ، وتناولت أحقية الإمام علي بن أبي طالب (ع) بالخلافة ، وموقف الشيعة من الصحابة ، وموقف السنن من الشيعة ، بحيث استدل كل طرف بما لديه من الحجج والروايات ، مع التشكيك بما لدى الطرف الآخر.<sup>(٢٦)</sup> وفي المناظرات التالية شارك كل من العلامة هادي خوجة الملقب ببحر العلوم ابن قاضي بخاري الحنفي ، والملا حمزة القلنجاني مفتي الأفغان ، إضافة إلى المتناظرين السابقين.<sup>(٢٧)</sup>

والمنتبع لتلك المناظرات يمكن أن يجد فيها الملاحظات التالية:-

- أ- كانت المناظرات تقوم على أساس الجدل العقيم الذي يكون فيه كل طرف متمسك برأيه وبالأدلة التي تثبت معتقده ومن دون أن يتمكن من إقناع الطرف الآخر بها.
- ب- إن روح الانتقاص والتقليل من شأن الآخر كانت السمة البارزة في نظرة المتناظرين لبعضهم البعض.

ت- إن الجدل العقيم في المناظرات لم يكن يؤدي إلى اتفاق ، الأمر الذي كان يدفع نادرشاه إلى العمل على إبطالها ، ومنع زيادة الفجوة والخلافات أكثر مما قد وصلت إليه .

كانت تعليمات نادرشاه نادرشاه للملا باشي علي أكبر كانت تنص على ضرورة قبول جميع شروط علماء السنة من حيث القبول برفع السب عن الصحابة وعدم الانتقاص من شأنهم ، وتعظيم الخلفاء الراشدين الأربعة وفق ما نصبوا عليه ، مع ضرورة موافقتهم على عدم تكفير الشيعة والاعتراف بهم كمسلمين لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . ويبدو أن نادرشاه بدا وكأنه مصر على توقيع الوثيقة النهائية من قبل العلماء الحاضرين ، والتي كان قد وضعها بنفسه لغرض تحقيق الأهداف التي أشرنا إليها سابقاً ثم العودة إلى إيران ، خاصة وأنه تلقى آنذاك تقارير مزعجة له تؤكد حدوث تمردات في بعض الأجزاء من بلاده.<sup>(٢٨)</sup>

#### ٥- مقررات المؤتمر ونتائجه:

في اليوم الثاني للمؤتمر ( الخميس ٢٥ شوال ) تم الاجتماع في المسقف الواقع خلف ضريح الإمام علي ، وبحضور جميع العلماء والحاشية وقادة الجيش والكثير من العوام من سكان المدينة. وتم التوقيع على وثيقة مدونة باللغة الفارسية نصت على مقدمة من كلام نادرشاه حول رفع السب عن الخلفاء والصحابة وعلى عدالتهم وترتيبهم . ويلي ذلك كلام عن لسان الحاضرين من العلماء والعامّة من الناس بالمضمون ذاته.

أما أهم بنود الاتفاق في الوثيقة فجاءت على النحو التالي :-

أ- بما أن أهل إيران عدلوا عن العقائد السالفة ونكلوا من الرفض والسب، وقبلوا المذهب الجعفري الذي هو من المذاهب الحقّة، المأمول من القضاة والعلماء والأفندية الكرام الإذعان بذلك وجعله خامس مذهب .

ب- إن الأركان الأربعة من الكعبة المعظمة في المسجد الحرام التي تتعلق بالمذاهب الأربعة، والمذهب الجعفري يشاركونهم في الركن الشامي بعد فراغ الإمام الراتب فيه من الصلاة، يصلون بإمامهم على طريقة الجعفري.

ت- في كل سنة يعين من حكومة إيران أمير للحج الإيراني ، ويكون في الدولة العلية العثمانية أعلى شأنًا من الأمير المصري والشامي.

ث- فك الأسرى من الجانبين ومنع وقوع التحقير عليهم.

ج- يعين وكيلان في الدولتين في مقر السلطنتين لأجل القيام بمصالح المملكتين ، وبهذه الوسيلة ترتفع الاختلافات الصورية والمعنوية ما بين لأمة سيد الثقلين (ص).

وتم التسجيل في الوثيقة خلاصة عقيدة الشيعة وشهادة أهل السنة عليها ، وخلاصة عقيدة أهل السنة شهادة الشيعة. كما ضمت الوثيقة الإقرار بالخلفاء الراشدين الأربعة على الترتيب الذي هم عليه ، ومدح



الإمام جعفر الصادق وقبوله عند سائر أئمة المذاهب ، وأن الاختلاف في بعض الفروع لا يؤدي إلى الخروج من الإسلام ، مع تحريم الاقتتال بين الطرفين.<sup>(٢٩)</sup>

وفي النهاية تم ختم الوثيقة بأختام العلماء الحاضرين كافة ، ونسخت منها نسخ حيث وضع نسخة منها في خزنة المرقد العلوي الشريف.<sup>(٣٠)</sup> وجرى في اليوم الثالث الجمعة ٢٦ شوال إقامة صلاة الجمعة الموحدة في مسجد الكوفة بحضور العلماء المجتمعين ، وتم فيها الثناء على الخلفاء الراشدين والصحابه وعلى السلطان العثماني محمود الأول ( ١٧٣٠-١٧٥٤م ) ونادرشاه. وبعد الفراغ من الصلاة تم توزيع الحلوى وأقيمت الأفراح والمسرات.<sup>(٣١)</sup>

وبالرغم من تلك الأجواء الطيبة التي اختتمت بها المؤتمر واللقاءات ، فإن بوادر عدم الجدية وغياب صدق النوايا كان حاضراً ، ولما يجف حبر الوثيقة التي تم الاتفاق عليها. فالشيخ عبد الله السويدي وهو في ساعاته الأخيرة في النجف صرح لكبير العلماء الملا باشي ما ينسف كل ما جاء من المقررات ، خاصة ما تعلق بالاعتراف بالمذهب الجعفري بقوله: ( إن المذهب الذي تتعبدون به باطل ولا يرجع إلى اجتهاد مجتهد .. ز وليس لجعفر الصادق فيه شيء ، وأنتم لا تعرفون مذهب جعفر الصادق...).

ومن جهة أخرى ، فإن نادرشاه وبعد انتهاء المؤتمر أرسل أحد العلماء وهو (السيد نصر الله الحائري)\*\*\*\* إلى مكة لقرب موسم الحج ومعه كتاب إلى شريف مكة الشريف سعود بن سعد وكذلك إلى المفتي وإلى القاضي هناك يأمل فيها نادرشاه تطبيق ما تم الاتفاق عليه في مؤتمر النجف ، خاصة بالنسبة للسماح للشيعه بالصلاة في ركن خاص بالكعبة. غير أنه تم إلقاء القبض عليه وأرسل إلى دمشق ومن هناك إلى اسطنبول ليتم قتله بأمر من السلطان.<sup>(٣٢)</sup>

والدليل الآخر حول فشل مقررات مؤتمر النجف هو عودة الصراع العسكري من جديد بين نادرشاه والدولة العثمانية. فبالرغم من التقارب الذي حدث بين الطرفين إلا أنه يدم سوى بضعة عشر شهراً. إذ قام نادرشاه بالتوغل في مناطق جنوب شرق الأناضول حتى مدينة قارص.<sup>(٣٣)</sup> وهذا ما يوضح لنا أن الأهداف السياسية والرغبة في السيطرة والتوسع والزعامة كانت هي الدافع الأساس لإثارة الخلافات الطائفية ، مثلما كانت الأهداف نفسها في الدعوة لعقد مؤتمر النجف.

### نتائج البحث:

- ١- إن العراق كان بمثابة ساحة الصراع السياسي والعسكري بين إيران والدولة العثمانية وكل ما كان يتمخض من ذلك الصراع ، كانت آثاره تظهر على الساحة العراقية ومنها قضية الخلاف الطائفي.
- ٢- إن العامل السياسي كان له الأثر البارز في قضية الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة مثلما كان له الدور الهام في الدعوة إلى التقارب بين الطائفتين في مؤتمر النجف.



- ٣- إن نادرشاه كان هو صاحب فكرة عقد المؤتمر في النجف بغية تحقيق أهدافه السياسية في توحيد الاتجاهات المختلفة في دولته ، والظهور بمظهر الزعامة العالمية للإسلام والمسلمين.
- ٤- لم يكن العلماء المجتمعين في النجف على قناعة تامة أو إيمان عميق بالمؤتمر ومقرراته. وقد أكدت المناظرات وتقديرات العلماء ومواقفهم على عمق الخلاف التاريخي بين الطائفتين.
- ٥- إن قصر مدة المؤتمر والرغبة الملحة من قبل نادرشاه في الخروج بالنتائج المرجوة من خلال الوثيقة المعدة للاتفاق ، لم تستطع حل الخلاف الطائفي بين الشيعة والسنة والذي بدأ منذ قرون بعيدة.
- ٦- إن نجاح مؤتمر النجف وغيره في التقارب بين الشيعة والسنة بحاجة إلى إرادة حقيقية صادقة من قبل الساسة والقائمين على الحكم وكذلك العلماء بالعمل وفق مبدأ الإخلاص في النوايا ، والعمل من أجل خلق أجواء الحب والاحترام المتبادل ومبدأ الاعتراف بالآخر.

### الهوامش:

- (١) آدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي ابو ريبة ، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٦٧)، ج ١، ص ٢٥٤، ص ٢٥٦-٢٥٧.
- (٢) ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ. البداية والنهاية ، (بيروت: دار ابن كثير، د.ت)، ج ١١، ص ٢٥٣، ص ٢٥٤ ، ص ٢٧٥.
- \* **نادرشاه:** ولد عام ١٦٨٨م من أسرة فقيرة تمتهن حرفة الرعي والدباغة ، وهو من قبيلة قرقلو التي انضمت إلى قبيلة الأفيشار المجاورة. فنشأ نادر كقاطع طريق ثم انضم إلى صفوف المقاتلين ، والتحق بجيوش الشاه طهماسب عام ١٧٢٦م لطرده الأفغان من إيران ، وأصبح فيما بعد من المقربين لدى الشاه ثم وصياً على العرش بعد عزل الشاه وتولي ابنه الصغير عباس الثالث الحكم وبعد وفاته أصبح نادر شاهاً على إيران عام ١٧٣٢م. حسن الجاف ، الوجيز في تاريخ إيران، (بغداد: دار الحكمة، ٢٠٠٥)، ج ٣، ص ٨٧-٩٨.
- (٣) جاء في بعض الفتاوي الصادرة آنذاك: (( أن كل ما يقوله علماء المذهب الشيعي هو كفر محض وأن الجهاد ضد الكفر واجب ، وأن ثواب قتل شيعي واحد أكثر من ثواب قتل سبعين كافراً عيسوياً ( أي مسيحي) )) . محمد عارف اسبيناقچي باش زاده ، إنقلاب الإسلام بين الخواص والعوام ، تاريخ زندكاني ونير دهاي شاه اسماعيل وسليم ثاني ، وقايح سالهاي ٩٠٥-٩٣٠هـ ، به كوشش رسول جعفریان، ( قم: بي چاب ، ١٣٧٩ش / ٢٠٠١م ) ، ص ٧٥.
- (٤) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق د. إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، ( بيروت: دار النفائس ، ١٩٨١ ) ، ص ١٨٩.
- (٥) علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، (طرابلس: مكتبة طرابلس العلمية ، د.ت) ، ص ٨٢.
- (٦) للتفاصيل ينظر: ستيفن هيمسلي لونكريك ، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، نقله إلى العربية جعفر الخياط ، الطبعة السادسة، (بغداد: ١٩٨٥) ، ص ٣٢، ص ٣٩، ص ٧٦ وما يليها . علي شاکر علي ، تاريخ العراق في العهد العثماني ، الطبعة الأولى ، (نينوى:مكتبة ٣٠ تموز ، ١٩٨٥) ، ص ٤٥ وما يليها.



- (٧) عن حملات نادرشاه ينظر: لكهارد ، نادرشاه ، ترجمة مشفق همداني، (تهران: ١٣٣١ هجري) ، ص ٨١ وما يليها. عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث ، (بيروت: دار النهضة العربية ، ١٩٧٣) ، ص ٣٠٨ وما يليها . الجاف ، المصدر نفسه ، ص ٩٨ وما يليها.
- (٨) رسول حاوي الكركوكلي ، دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، نقله عن التركية موسى كاظم نورس ، (بغداد: دار النهضة ، د.ت) ، ص ٣٠-٣١.
- (٩) علي ، المصدر نفسه ، ص ١٩٣.
- (١٠) سيار الجميل ، حصار الموصل الصراع الإقليمي واندحار نادرشاه ، (الموصل: بيت الموصل ، ١٩٩٠) ، ص ١٧٢.
- (١١) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، (بغداد: شركة التجارة والطباعة المحدودة ، ١٩٥٣) ، مج ٥ ، ص ٢٦٩.
- (١٢) جعفر الشيخ باقر آل محبوبة ، ماضي النجف وحاضره ، (النجف: ١٩٨٥) ، ج ١ ، ص ٦٤.
- (١٣) Berrey Sykes , A history of Persia , ( London: 1958 ) , Vol II , p.254.
- (١٤) الجاف ، المصدر نفسه ، ص ٩٩.
- (١٥) Sykes , op.cit , pp.254–255.
- (١٦) الجاف ، المصدر نفسه ، ص ٩٩.
- (١٧) الجميل ، المصدر نفسه ، ص ١٧٣.
- (١٨) علاء موسى كاظم نورس ، العراق في العهد العثماني دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠-١٨٠٠ (بغداد: دار الرشيد للنشر ، ١٩٧٩) ، ص ١٨١-١٨٢.
- \*\* عبد الله السويدي:** هو عبد بن الحسين السويدي العباسي ، أحد كبار علماء بغداد المشهورين في القرن الثامن عشر الميلادي . وقد ذاع صيته ومكانته العلمية لدى العامة والخاصة ومنهم والي بغداد أحمد باشا ، فأصبح من المقربين لديه ، وانتدبه لتمثيله في مؤتمر النجف بناء على طلب نادرشاه بإرسال الوالي مبعوث له يكون شاهداً وحكماً بين العلماء. عماد عبد السلام رؤوف ، عبد الله السويدي سيرته ورحلته ، الطبعة الأولى (بغداد: دار الشؤون الثقافية ، ١٩٨٨) ، ص ٢٠-٢٥.
- \*\*\* النفحة المسكية في الرحلة المكية:** مخطوط ضمن مجموعة محفوظة بمكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب/ جامعة بغداد.
- \*\*\*\* الحج القطعي لاتفاق الفرق الإسلامية:** تم طبعه لأول مرة في القاهرة عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م ، وطبعة ثانية في القاهرة عام ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م بعنوان (مؤتمر النجف) مع مقدمة وتطبيقات لمحب الدين الخطيب . وهو ما اعتمدنا عليه في هذا البحث..
- (١٩) مؤتمر النجف ، ص ٢٢.
- (٢٠) المصدر نفسه ، ص ٤٧-٤٨.

- (٢١) ميرزا مهدي خان ، جانكشاري نادري، اهتمام سيد عبد الله نوار ، (تهرن: ١٣٣١هـ) ، ص ٣٤١-٣٤٧. دري نادري ، اهتمام دكتور سيد جعفر شهيدي، (تهران: ١٣٤١هـ) ، ص ٢٧٧-٢٨٢.
- (٢٢) من المصادر العثمانية الصادرة آنذاك والتي لم تتطرق إلى موضوع المؤتمر ، كتاب ( تاريخ جلبي زاده ) للمؤرخ إسماعيل عاصم جلبي ، وكتاب ( تاريخ عزي ) للمؤرخ سليمان عزي ، وكتاب ( محاسن الآثار وحقائق الأخبار ) للمؤرخ أحمد واصف أفندي.
- (٢٣) علي الوردی ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ( قم: مطبعة امير، ١٣٧١-١٤١٣ ) ، ج ١ ، ص ١٣٦.
- (٢٤) مؤتمر النجف ، ص ٤٦.
- (٢٥) سلطان ، المصدر نفسه ، ٢٣٥-٢٣٧.
- (٢٦) مؤتمر النجف ، ص ٢٥-٣٢.
- (٢٧) المصدر نفسه ، ص ٣٤-٣٧.
- (٢٨) نورس ، المصدر نفسه ، ص ١٩٨.
- (٢٩) اعتمدنا على نص الوثيقة بناء على ما ورد في المصادر التالية:- مؤتمر النجف ، ص ٣٨-٤٢. ميرزا مهدي خان ، تاريخ جهانكشاري ، ص ٣٤٦-٣٤٢ ، در نادري ، ص ٢٧٧-٢٨٢. الكركوكلي ، المصدر نفسه ، ص ٥٨-٦٠.
- (٣٠) أشارت بعض المصادر التاريخية على وجود نسخة أصلية من وثيقة المؤتمر في الخزانة العلوية في داخل الروضة الحيدرية الشريفة ، وبالرغم من المحاولات المتكررة من قبل الباحث مراجعة إدارة الروضة الشريفة للوصول والإطلاع عليها ، غير أنه لم يتمكن من ذلك. محبوبة ، المصدر نفسه ، ص ٢٢٤-٢٢٥.
- (٣١) مؤتمر النجف ، ص ٤٦. الكركوكلي ، المصدر نفسه ، ص ٦٣.
- \*\*\*\* **السيد نصر الله الحائري:** هو أبو الفتح نصر الله بن الحسين بن علي من أعلام القرن الثامن عشر الميلادي. ولد في كربلاء ودرس في مدارسها الدينية ، واتصف بالعلم والذكاء وفصاحة اللسان ، وله مؤلفات دينية عديدة وديوان شعري مطبوع. عباس الكرمانی ، ديوان السيد نصر الله الحائري ، (النجف: مطبعة الغري ، ١٩٥٤) ، المقدمة .
- (٣٢) العزاوي ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٩-٢٧٠.
- (٣٣) الكركوكلي، المصدر نفسه ، ص ٦٤-٦٥.